سلبية للغاية، يشجع في الوقت ذاته على الخوض في نقاش فكري واسع. فوجود تيارات تحمل لواء الماركسية والبعث وسواهما، وتتمتع بمتّسع وبمجال رحب للتعبير، انما يخلق وضعاً مميزاً (يختلف، هنا أيضاً، عن الوضع في جبهة التحرير الوطني الجزائرية). وهو يفسر، في بعض الأحيان، التناقضات بين القادة الفلسطينيين.

إن أسباب هذا التوزّع والتبعثر في الحركة الفلسطينية ليست ظرفية. وإنما هي راسخة بشكل عميق في واقع الشعب الفلسطيني، وقد يكون من المفيد ان نتوقف عندها باقتضاب(*)(٢).

(أ) السبب الأول يكمن في التبعثر الحاصل في سنة ١٩٤٨. فلقد تشتّت الشعب الفلسطيني أيّما تشتّت: مكث بعضه في اسرائيل وبعضه الآخر في ظل السلطة الأردنية، وآخرون في غزة تحت السيادة المصرية، هذا عدا مئات الألوف من اللاجئين إلى لبنان وسوريا والخليج. وأدى هذا التبعثر إلى قيام تجارب سياسية واجتماعية مختلفة فلا علاقة بين البورجوازي الفلسطيني الذي يقطن الكويت والفلاح الذي يقيم في مخيم للاجئين. فغالباً ما أفرز كل من هذه الفئات الاتجاهات الخاصة به.

(ب) التجربة المستقلة والمميّزة التي تكونت لدى مختلف القيادات وشتّى الفئات والكتل (يمكن مراجعة دراسة كوانت (QUANT) عن المقارنة بين تجربة كل من الفريق القيادي في فتح وفي حركة القوميين العرب).

(ج) الدرجة العالية من الفردية التي ينسبها «كوانت» إلى القيم الثقافية العربية والفلسطينية المتوارثة.

(د) الخلافات الايديولوجية التي تبرز شدّتها بمقدار ما يؤدي المستوى التعليمي المرتفع لدى الشعب الفلسطيني إلى جعله أكثر تأثراً بالخلافات وبالايديولوجيات المختلفة التي تحرك العالم العربي.

(هـ) التداخل مع البلدان العربية. وهو قائم على مستويين: الأول مباشر، وذلك عن طريق إنشاء منظمات مرتبطة مباشرة بهذا النظام العربي أو ذاك (الصاعقة من قبَل سوريا، جبهة التحرير العربية من جانب العراق)؛ أما الثاني، فقوامه التدخل غير المباشر بواسطة عقد تحالف، في هذا الوقت أو ذاك، مع منظمة فلسطينية ما، ممّا يتيح ممارسة ثقل على قرارات منظمة التحرير الفلسطينية.

وتسلط تجربة الدكتور عصام صرطاوي الأضواء، إلى حد بعيد، على هذه النقاط المختلفة(٣). انه عضو في «فتح» وأحد مؤسسي الهلال الأحمر الفلسطيني. وهو بالنظر إلى تأثره بالنظريات الوحدوية العربية يرفض ان يقبل دائماً بـ «قطرية» فتح. إلّا ان انفصاله عن عرفات كان في أعقاب مناقشة بشأن قضية قليلة الأهمية، وكان ذلك في

(*) آثرنا في ما يتعلق بالنصوص العربية التي استطعنا الحصول عليها أن نعتمد على الأصل العربي (المترجم).